

الثقافة النفسية المتخصصة

دور علم النفس في حركة الحقوق المدنية

المجلد 21- العدد 82- نيسان / أبريل 2010

مركز الدراسات النفسية والنفسية الجسدية - طرابلس، لبنان

ceps50@hotmail.com

قضية العدد

صمود السيكولوجيا والسيكولوجيين العرب

رئيس التحرير

فاجأتني واحدة من الجامعات العربية المعروفة بإرسال طلب تقييم بحث أحد أساتذتنا المنشور على الشبكة العربية للعلوم النفسية، وهذا في رأيي قرار شجاع وحكيم في أن. فجامعاتنا باتت في أمس الحاجة للجرأة على تخطي الشكليات، حيث لا ضرورة لطباعة مقالات الشبكة ورقيا حتى يتم اعتمادها، فالنشر على شبكة الانترنت ليس نقصا، بل ربما كان وسيلة انتشار وتوثيق وتعميم للفائدة أفضل كثيرا من النشر الورقي التقليدي.

ومن ورقة لمؤسس الشبكة العربية للعلوم النفسية الأستاذ الدكتور جمال التركي نقطف قوله: ونحن على عتبة الألفية الثالثة أصبح لزاما على اختصاصيي العلوم النفسية في العالم العربي ولوج عالم اللغة الرضحية والانترنت، وتطويع أدواتها وبرمجياتها لخدمة هذا الاختصاص، ولا عذر لنا في تخلفنا عن اللحاق بثورة المعلوماتية. وفي هذا الإطار يدخل سعبي لتأسيس مشروع شبكة العلوم النفسية على الويب، كتجسيد لطموحات والأهداف المتمثلة أساس في إعداد: دليل العناوين الإلكترونية، دليل الأطباء والاختصاصيين النفسيين، دليل الجمعيات النفسية العربية، دليل المجلات والدوريات العربية النفسية، دليل المكتبة النفسية العربية، بنك الأبحاث النفسية الأكاديمية والجامعية، دليل المؤتمرات النفسية العربية العالمية، صفحة المعجم الشبكي للعلوم النفسية، دليل مراكز الاستشفاء الطب نفسية العربية، دليل الوظائف النفسية العربية، ودليل النشر الإلكتروني النفسي العربي، إضافة إلى صفحة الاختبارات النفسية العربية.

ألا يستحق مشروع بهذه الضخامة، وبحجم تصميم وإرادة وتضحية مؤسسه والمتعاونين معه لأن تكون جامعاتنا العربية مشاركة فيه وداعمة له لا مجرد معتمدة لبحوث تنشر على شبكته؟ وهو ما نسعى لتشجيعه بتعريف الجامعات على هذه الشبكة وفعالية جهودها في عرض إنجازاتها بقلم مؤسسها في العدد القادم من المجلة.

المفاجأة المشار لها أعلاه تضخمها تجربتنا واطلاعنا على بعض الوقائع المحيطة للاختصاص ومتخصصيه. ومنها الانتقادات التي طالما سمعتها لزميل عزيز يعتبر مؤسس علم النفس السياسي في الوطن العربي، ومنها سؤال حول كتابات الزميل من أحد كبار المسؤولين العرب وفيه: ما هو دخل السيكولوجيا بالسياسة؟

أول الجواب أن غالبية رؤساء المخابرات الأميركية ممن كتبوا مذكراتهم حول خضوعهم لاختبار نفسي (رورزشاخ تحديدا) ضمن اختبارات قبولهم في المخابرات. وبعدها الإعلان عن إنشاء أجهزة مخابراتية عديدة لشعب سيكولوجية خاصة لدراسات شخصيات المسؤولين الهامين، ومعها شعب لمتابعة مقابلاتهم وخطبهم، ودراسة حركات جسد، وتعابيرهم، وتقلصات وجوههم

ولعل من أسباب المفاجأة ما واجهته شخصيا عندما دعوت باسم مركز الدراسات النفسية والنفسية الجسدية لمؤتمر بعنوان "نحو علم نفس عربي" العام 1992. ويومها جاءت الانتقادات من زملاء متخصصين تجاوزا موضوعية الاختصاص إلى فوبيا حقيقية من عنوان المؤتمر، ومن كلمة عربي تحديدا. وهي فوبيا منتشرة في لبنان خصوصا، كما في دول عربية أخرى

هذه الفوبيا هي التي نقلت المؤتمر إلى السياسة، أما هدف المؤتمر في حد ذاته فكان دعوة لتطبيق مبادئ علم النفس عبر الحضاري القائلة باختلاف أنماط النشاط الإنساني باختلاف الثقافات، ما يقتضي تعديل تطبيقات السيكولوجيا، والعلوم الإنسانية عامة، كي تصبح صالحة للاعتماد في الثقافة المستهدفة، وهي العربية في حالتنا.

أما عن التجارب العملية التي تشكل مفاجآت إيجابية إضافية، فمن أمثلتها البحث الأجنبي المنشور في هذا العدد، ويتعلق باستخدام الاختبارات السيكومترية لانقضاء ضباط الشرطة في الإمارات.

وهو بحث يكتسب أهمية إضافية بعد نجاحات الشرطة الإماراتية بالكشف عن كافة الجرائم المنظمة على أرضها، من عملية سرقة الماس لغاية اغتيال المبحوح، حيث الحرج الدبلوماسي الذي تبع عملية اغتيال محمود المبحوح، أحد كبار مسؤولي حركة حماس في دبي، كان واضحا على المستوى العالمي. ولكن ربما كان ذلك الحرج هو قمة جبل الجليد، فالكشف عن 27 عميلا خفيا من عملاء أحد أكثر أجهزة الاستخبارات سرية و"حرقهم" بهذه الصورة التي تمنع استخدامهم في المستقبل، كان أحد أكبر الضربات التي تلقاها الموساد في تاريخه، ونكاد نترقى لأن تكون أكبر عملية "اغتيال مهني" يتعرض لها الموساد.

وبالانتقال إلى التجارب العملية السلبية، نذكر تجربة تضخيم الحدث، وتوظيف الاختصاص لتحويل الحدث، وتوظيف الاختصاص لتحويل الحدث من حدث سياسي إلى كارثة عامة، وفي واحدة من هذه التوظيفات السيئة للاختصاص، قامت إحدى الفضائيات بتخصيص برنامج يومي يستضيف طبيبا نفسيا لتلقي اتصالات هاتفي من الأشخاص الذين رأوا في الحدث كارثة تستدعي تفجير الانفعالات السلبية. ونحن متفقون أن هؤلاء المتصلين هم من فئة المنتحرين لدى وفاة المطربين ولا يتجاوزونهم.

بينما تنص بروتوكولات تصرف الاختصاص تجاه الكارثة على مساعدته في عملية تقنين انفعالات الجمهور للمساعدة على حماية من ارتكاب ردود فعل عشوائية تلحق الضرر به وبمحيطه.

بعد هذه المفاجآت، بسلبها وإيجابها، يحق لنا السؤال عن خلفية صمود الاختصاصيين النفسيين العرب في هذه الأجواء غير المتفهمة للاختصاص، ولفعاليتهم وقدرته على تقديم الحلول لمشاكل المجتمع ومعاونة أفراد، وحتى حماية المجتمع من أعدائه. ذلك أن استمرار السيكولوجيين العرب بالعمل في هذه الأجواء، وضمن هذه الشروط، يعتبر صمودا أشبه بالصمود على الجبهات.

وعندما يتعلق الموضوع بالسيكولوجيا في العالم العربي، فإن مصادر التمويل محدودة ومفخخة، بحيث ينطوي كل مصدر على مضاعفات غير حميدة. ومع غياب مخصصات الدول العربية للبحث العلمي، أو صعوبات الحصول عليها، فغن التمويل الشخصي يبقى الخيار الوحيد المتاح، وهو خيار يتطلب تضحيات، ويدمج التجربة بالطابع الفردي.

بعد التمويل، تأتي متفرعات البحث لتحقيق ما وصفه الزميل التركي بالطموحات، ومنها توثيق دليل السيكولوجيا العربية بأقسامه المختلفة. وهنا تبرز معوقات الانخراط في روتين الممارسة اليومية وتراكم الاحباطات المهنية. إضافة لسلبية مكتسبة من الشعور بعدم القدرة على التغيير، أو حتى التطوير.

وختاماً، نلخص القضية التي نطرحها بطرح المشاكل التي تواجه مساهمة الاختصاص في دعم مستويات اللياقة النفسية والاجتماعية في مجتمعنا العربي وهي:

- 1- غياب مخصصات البحث العلمي، أو فقرها، في حال وجودها
- 2- غياب التنسيق العلمي بين الجامعات ومراكز البحث العربية في المجالات المشتركة
- 3- رفض خدمات الاختصاص من قبل المؤسسات الرسمية، بدءاً من دائرة القرار، ولغاية المصانع.
- 4- عدم تبادل التجارب العلمية السيكولوجية بين الدول العربية، كمثل تجربة انثناء ضباط الشرطة في الإمارات، وهي موضوع البحث المنشور في هذا العدد
- 5- النتائج غير المطابقة للبحوث العربية التي لا تراعي الفوارق الثقافية
- 6- اعتماد التطبيقات المعلقة أجنبياً بصورة مسيئة للمجتمع العربي وكلها مواضيع سبقَتْ إثارته في المجلة، وهي موجودة على الشبكة، ونعيد طرحها مجتمعة كقضية حيوية لهذا العدد، على أمل تحريك النقاش حولها.

يأتي التدريس في مقدمة عوامل الصمود السيكولوجي العربي، حيث يؤمن التدريس للاختصاصي وسيلة لنشر معرفته وتجربته وآرائه الاختصاصية، ومناحي نظريته للاختصاص، ولمشاكل المجتمع، إضافة إلى إعطاء التدريس صفة ومهنة ومصدر دخل للاختصاصي

لكن التدريس يصبح مشكلة ومصدر تعويق إذا كان النشاط الوحيد المتاح أمام الاختصاصي، وهو الواقع المؤسف في غالبية الحالات، لأنه يتسبب غالباً بفقدان الدافعية لدى الاختصاصيين، وانطوائهم على مهنة التدريس واجوائها.

أما العيادة النفسية فتأتي في الترتيب الثاني بعد التدريس، وهي تقدم للاختصاصي فرصة الممارسة العملية لمعارفه السيكولوجية. كما تقدم له كافة الإسهام بتوظيف الاختصاص في خدمة المجتمع على صعيد أفرادهم وعائلاتهم، وفي إرشادهم. وكنا قد تحدثنا تفصيلاً عن العقبات المتعرضة للعيادة النفسية العربية في بحثنا المعنون: " واقع الطب النفسي في العالم العربي".

<http://drnaboulsi.com/moutamarat/moutamarat10.html>

هكذا، وبسبب قيود الممارسة السيكولوجية ومحدوديتها، فإن واحدة من أهم سبل تقديم الدعم لصمود السيكولوجيين العرب هي وسيلة تأمين قنوات التواصل وتبادل الآراء وهموم الاختصاص في ما بينهم، بما نعتبره فرصة لتبادل الخبرات، وإنضاج تجارب السيكولوجيين العرب.

وإذا كانت شبكة الإنترنت ومشروع زميلنا البروفيسور التركي هي الحل العملي المتاح والمضمون لهذا التواصل، فإن فرص اللقاءات الشخصية عبر الندوات والمؤتمرات تحفظ بأهميتها وفائدتها.

مما تقدم، نرجو أن نكون قد وفقنا في عرضنا لأهمية الشبكة العربية للعلوم النفسية، رغم إثارنا متابعتها عن بعد باعتبارها تجربة مختلفة نوعياً عن تجربتنا في مركز الدراسات النفسية والنفسية الجسدية، ورغم تطابق التجريبتين ومشاكلهما المتعرضة.

ولعل التمويل أول هذه المشاكل، إذ إن مراكز البحث العلمي والنشر العلمي ليست بالمشاريع الناجحة تجارياً، كون خسارتها مؤكدة مسبقاً

Arabpsynet Psychiatrists



Arabic Edition

<http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Ists.Ar.asp>

English Edition

<http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Ists.asp>

French Edition

<http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Ists.Fr.asp>

Arabpsynet Psychologists



Arabic Edition

<http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Gists.Ar.asp>

English Edition

<http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Gists.asp>

French Edition

<http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Gists.Fr.asp>